

٢٣٠

يا أملاً تبسماً
يا زهراً تبرعاً
يا رشفة على ظلاً
يا طائراً مغرداً مترنماً
ما حطّ حتى حوماً

ولا يلفتنا هنا فقط اتحاد القافية في هذا الجزء من المنظومة، وكذلك اتحادها في الأجزاء التالية، بل يلفتنا أيضاً قصر السطور. وأكبر الظن أن الموشحات الأندلسية هي التي ألهمت الشاعر هذا النمط القصير السطور؛ فإن الأندلسيين - كما أسلفنا - تنبهوا إلى ما يحدثه قصر الشطور في موشحاتهم من وفرة الأنغام، فحاكاهم صلاح في هذا النسق الموسيقي الجديد.

ولا نريد أن نطيل بعرض تشكيلات كثيرة من الإيقاع الشعري عند صلاح. فحسبنا ما ذكرناه، وهو كاف لبيان أن إيقاع الشعر الحر الجديد عنده ينبثق من أحشاء الإيقاع في الشعر الموروث. وحقا قد يختفى التردد للقافية من بعض منظوماته أو من بعض أجزاءها، ولكنه كثيراً ما يتلافى ذلك بحسن اختياره للفظ والصياغة. ومن المؤكد أنه وصل وصلاً بديعاً بين إيقاع منظوماته وإيقاع الشعر الموروث. وفي رأينا أنه أصبح حرياً أن يوجد عروض فطن نافذ البصيرة - مثل الخليل بن أحمد، واضع عروض الشعر العربي في العصر العباسي، أو مثل ابن سناء الملك، واضع عروض الموشحات في العصر الأيوبي - كي يضع للشعر الحر الجديد نسبهً اللحنية، ومقاييسه النغمية. مستعيناً بما استحدث فيه صلاح وغيره من منظومات متنوعة، تلذّ بجرسها وإيقاعها الأسماع والآذان.

٤

وكان قد شاع عن الشعر الحر الجديد أن ناظميه لا يرون بأساً في استخدام الكلمات العامة أحياناً في منظوماتهم، وأنهم لا يعنون بصياغتهم إلا نادراً،